1

نِسبيّـةُ المعْرفَةِ الحِسّيَّة

تمهيد: المَعْرِفَةُ عِنْدَ التّوْحِيدِي نِتَاجُ الفِكْرِ الصّحِيح آتِيَةٌ بِالحَقّ جَلُوبَةٌ لِلرّشَدِ. وَلِلْمَعْرِفَةِ الأَسَاسِيّةِ مَصَادِرُ عِدّةٌ مِنْهَا:... العَقْلُ، فَهُوَ المَلِكُ المَفْزُوعُ إِلَيْهِ وَالحَكَمُ المَرْجُوعُ إِلَى مَا لَدَيْهِ... وَمِنْهَا التّجْرِبَةُ وَالمُشَاهَدَةُ.

أحمد عبد الفتّاح البرّيّ، التّوحيدي بين العلم والمعرفة،
مجلّة فصول، مجلّد 14، سنة 1995.

قَـالَ التّوْحِيدِي فِي المُقَابَسَـةِ الرّابِعَةِ والسّـتّينَ مِنْ كِتَابِ المُقَابَسَاتِ:

الحَـقّ: مَـا صَحّ وَثَبَتَ وَصَدَقَ.

سَـمِعْتُ أَبَا سُـلَيْمَانَ يَقُولُ: قَالَ «أَفْلاَطُنْ»: إنّ الحَقّ لَمْ يُصِبْهُ النّاسُ فِي كُلّ وُجُوهِهِ، بَلْ أَصَابَ مِنْهُ كلّ إنسَـانٍ جِهَةً.

قَـالَ: وَمِثَالُ ذَلِـكَ، عُمْيَانٌ انْطَلَقُوا إِلَى فِيـلٍ، فَأَخَذَ كُلّ وَاحِدٍ مِنْهُـمْ جَارِحَةً مِنْهُ، فَجَسّهَا بِيَدِهِ، وَمَثّلَهَا فِي نَفْسِهِ، ثُمّ انْكَفَؤُوا.

مَثّلَهَا : تَصَوّرَهَا.
انْكَفؤُوا : رَجَعُوا.

فَأَخْبَرَ الّذِي مَسّ الرّجْلَ أَنّ خِلْقَةَ الفِيلِ طَوِيلَةٌ، مُدَوّرَةٌ، شَبِيهَةٌ بِأَصْلِ الشّجَرَةِ وَالنّخْلَةِ.

وَأَخْبَرَ الّذِي مَسّ الظّهْرَ أَنّ خِلْقَتَهُ شَبِيهَةٌ بِالهَضَبَةِ والرّابِيَةِ المُرْتَفِعَةِ.

وَأَخْبَرَ الذِي مَسّ مِشْفَرَهُ أَنّهُ شَيْءٌ لَيّنٌ لاَ عَظْمَ فِيهِ.

المِشْـفَر : شَـفَةُ الفِيلِ.
يَنْشُرُه : يَبْسُطُهُ.

وَأَخْبَرَ الذِي مَسّ أُذُنَيْهِ أَنّهُ مُنْبَسِطٌ، رَقِيقٌ، يَطْوِيهِ وَ يَنْشُرُهُ.

فَـكُلّ وَاحِدٍ مِنْهُـمْ قَدْ أَدّى بَعْضَ مَا أَدْرَكَ، وَكُلّ يُكَـذّبُ صَاحِبَهُ، وَيَدّعِي عَلَيْهِ الخَطَأَ وَالغَلَطَ وَالجَحْدَ فِي مَا يَصِفُهُ مِنْ خَلْقِ الفِيلِ.

الجَحْـد : إنْكَارُ الحَقِيقَـةِ رَغْـمَ مَعْرِفَتِهَا.

فَانْظُرْ إِلَى الصّدْقِ كَيْفَ جَمَعَهُمْ، وَانْظُرْ إِلَى الخَطَإِ كَيْفَ دَخَلَ عَلَيْهِم حَتّى فَرّقَهُمْ.

أبو حيّان التّوحيديّ، المقابسات، تحقيق محمّد توفيق حسين،
ط. 2، دار الآداب، بيروت، 1989، ص 220

تعريفات

أعـلام:

المؤلّـف: أبو حيّان التّوحيدي: أديـب مفكّر عربيّ (310 هـ/922 م - 414 هـ/1023 م) صاحب ثقافةٍ موسـوعيّة، درَس على أهمّ شيوخ عصره، وجالس كبار الوزراء. من أهمّ مؤلّفاته: «الإمتاع والمؤانسة»، و«المقابسات».

أبو سليمان السّجستانيّ: (ت. 391 هـ) المعروف بالمنطقيّ، شيخ التّوحيديّ وهو من علماء بغداد في المنطق والحكمة والفلسفة.

أفلاطن: المقصود به أفلاطون، وهو فيلسـوفٌ يونانيّ ولد في أثينا (428 - 347 ق.م)، وتلميذ لسـقراط ومعلّم أرسـطاطاليس، عُرف بحواراته الفلسـفيّة، واشـتهر بكتاب «الجمهوريّة».

كتب وآثار:

المُقَابَسَاتُ: كتاب ألّفه التّوحيدي في نهاية القرن الرّابع الهجريّ، ضَمّنه عددًا كبيرًا من الأحاديث والمناقشات والمناظرات الّتي جرت بين مختلَف علماء عصره.

والمقابسات مُفردها مُقَابَسَةٌ (صيغة فَاعَلَ = قَابَسَ)، وهي تدلّ على المبادَلة. ويقول محمّد توفيق حسن: «معنى المقابسات أن يشترك اثنان أو أكثرُ من النّاس في محاورةٍ علميّة، فيأخذ أحدهم العلم من الآخر ويعطيه ما عنده من العلْم».

عبد الأمير الأعسم، أبو حيّان التّوحيدي في كتاب المقابسات،
ط.3، دار الشّؤون الثّقافيّة العامّة، العراق، 1986، ص 112

مصطلحات:

الحقّ : (في النّصّ) خاصّيّة القول المعتبر مطابقا للوقائع

الفهم والتّحليل

1- سـمعت أبا سليمان يقول: "قال أفلاطن..." حدّد أطراف الخطاب الواردة في هذه الجملة مبرزا ما لمنهج رواية الخبر من قيمةٍ معرفيّة إنسانيّة.

2- يقوم بناء النّصّ الحِجاجيّ على: المُعطى والضّمان والنّتيجة، دُلّ على ذلك من النّصّ.

3- صرّح التّوحيدي بأطروحةٍ مدعومة. استخرج الأطروحة المدحوضة المضمّنة.

4- وظّف الكاتب تشـابيه محسوسـة لتقوية الشّـعور لدى المتلقّي بالفكرة وجعل حضورها أقوى ووقعها أشدّ. اختر نماذج من هذه الصّور دالاّ على مساهمتها في الإقناع.

التّفكير وإبداء الرّأي

أقرّ النّصّ فكرة نسبيّة المعرفة الحسّيّة، فهل ترى هذا الرّأي ممكنا في كلّ مجالات المعرفة؟ علّل موقفك بحجج تراها مقنعة.

نافذة لغويّة

النّفْيُ والاسْتدراكُ

1 - إنّ الحقّ لَمْ يصبه النّاس في كلّ وجوهه، بَـلْ أصاب منه كلّ إنسان جهة.

2 - إنّ الحقّ يصيبه النّاس في كلّ وجوهه، بَـلْ يصيب منه كلّ إنسان جهة.

بَـلْ للإضراب عمّا قبلها، والإضراب أن يعتبر المتكلّم ما قبل «بَـلْ» مبطلا. فإذا كان منفيّا أكّدت نفيه وإذا كان مثبتا جعلته كالمنفيّ.

نلاحظ أنّ الفرق بين الجملة الأولى والجملة الثّانية ليس فرقا جوهريّا، والدّور الحجاجيّ يكمن في: حجّة أولى بَـلْ حجّة ثانية.

فالحجّة الأولى في المثالين (إنّ الحقّ لم يصبه النّاس في كلّ وجوهه / إنّ الحقّ يصيبه النّاس في كلّ وجوهه) مفنّدة ومدحوضة بالحجّة الثّانية (أصاب منه كلّ إنسان جهة / يصيب منه كلّ إنسان جهة).

3 - إنّ الحقّ لم يصبه النّاس في كلّ وجوهه ولَـكِـنْ أصاب منه كلّ إنسان جهة.

تختلف «بَـلْ» عن «لَـكِـنْ»، فـ«لَـكِـنْ» تبطل ما قد يخطر في ذهن السّامع بعد سماعه للجملة الأولى (إنّ الحقّ لم يصبه النّاس في كلّ وجوهه).

4 - سقط العامل من الطّابق الرّابع لَكِنّهُ لم يمت.

فالجملة الأولى تحدث في ذهن السّامع فكرة موت العامل، فيسرع المتكلّم ويستدركه لمنع ترسيخ هذه الفكرة في ذهنه.

إغنـاء

يقول أرسطو: «لا شيء يصل إلى العقل إذا لم يسلك طرق الحواسّ». ولذلك يقول أيضا: «من فقد حسّا فقد علما». فالأصل إذن في نشوء المعرفة العقليّة الكلّيّة أنّها معرفة حسّيّة جزئيّة، والكلّيّات تنشأ في النّفس عندما تتوافر الاختبارات المتشابهة، فتجتمع في الذّهن الصّور المتشابهة، فيضمّ الإنسان بعضها إلى بعض وينشئ منها مفهومًا كلّيّا بطريق الاستقراء.

عبده الحلو، الوافي في تاريخ الفلسفة العربيّة، ط.1، دار الفكر اللّبنانيّ، بيروت، 1995. ص45